

قواعد الاشتباك تتغير في العراق: الحشد الشيعي مقابل الحشد الشعبي



تركيب السلطة العراقية، ودورها الحاسم في تحديد المواقع القيادية داخل الدولة. هذا المسار، الذي أسست له سلسلة تحركات مطلبية ومدنية خلال السنوات الماضية، نجح إلى حد كبير في نقل الحركة الاعتراضية من معادلة المحاصصة السياسية والطائفية إلى معارضة وطنية عراقية.

تشكل الذراع التي تقف إيران بولايتها، والأداة الطليعة لتنفيذ المهام الأمنية والعسكرية وحتى الشعبية. الجيش والقوى النظامية بطبيعتها ينتميان إلى منظومة الدولة، فيما "الحشد" منظومة مذهبية دينية توالي مراجع خارج الدولة وخارج العراق أيضا. الاحتجاجات فرضت مسارا جديدا وليس قصيرا، سيكون محفوقا بسلسلة تحديات أبرزها التعامل مع القبضة الأمنية التي ستسهم سلوك السلطة في المرحلة المقبلة، فالحشد الشعبي هو الحارس الإيراني الفعلي لمنظومة السلطة. التحدي الثاني يتصل بتمدد المعارضة إلى مساحات سنية وكردية، في الحد الذي يخرج المشهد الاحتجاجي والتغيير من كونه حراكا في بيئة شيعية لا علاقة لقبية العراق بها. التحدي الثالث هو في الاستفادة من التجارب التي مر بها العراق وفورات الربيع العربي، أي أن السلمية والرؤية السياسية الواضحة والبرامج المترددة في عملية التغيير، فتمتلك بإحداث التحول الإيجابي في عملية التغيير والإصلاح. كل ذلك مهدت له الاحتجاجات في ما رفعت من شعارات، وفي اعتدادها بعراقتها لا بعصبيتها الضيقة، هو ما يمكن إدراجها في سياق تبلور المعارضة الوطنية والمدنية العراقية، من خارج الاستقطاب الطائفي وحتى الحزبي، ووضعت إيران وأدواتها العراقية في موقع الخصم، لاسيما أن العراقيين، عموما، يدركون حجم الدور الإيراني في

كان سمة المواقف الحزبية التي بدت في غربة عن الشارع، أو متواطئة مع سياسة القمع والعنف الذي مورس ضد المتظاهرين بالقتل والقتل والاعتقالات. لا شك أن إجراءات الحكومة بإقالتها قيادات عسكرية مستقلة لحساب تعيين أفراد من الحشد الشعبي في مواقع قيادية للجيش فحزت الاحتجاجات، لكن ما هو أعمق من تلك الإجراءات "المستغربة" لانصار الدولة والجيش، هو عدم قيام حكومة عادل عبدالمهدي بأي خطوة تظهر أن السلطة العراقية جادة في وقف مزارب الهدر والفساد من جهة، وفي إظهار أنها حكومة مستقلة عن النفوذ الإيراني وساعية إلى توفير شروط الحياة الكريمة في خامس دولة نفطية في العالم، من جهة ثانية. القرارات التي اتخذتها الحكومة العراقية في اليوم الخامس لتهدئة المحتجين، لاسيما ما وعدت به من إغداق بعض الأموال على الفقراء، والوعد بانجاز مشاريع إسكانية وغيرها من الوعود التي سأم العراقيون سماعها طيلة السنوات الماضية، ليس من الحصافة الاعتقاد بأنها ستندفع، بل هي وسيلة من وسائل التغطية على سلسلة إجراءات ستعتمد الحكومة من خلالها إلى القبض على الشارع ومنع تكرار مثل هذه الاحتجاجات مرة أخرى. الوجه الجديد للسلطة هو وجه "الحشد الشعبي"، السلطة الفعلية التي ستزداد رسوخا في سلطة الحكومة، وكما بات معلوما فإن فصائل الحشد الشعبي باتت

بزات رسمية، ويضعونهم في البرلمان". وأضاف "لم نعد نريد أحزابا، لا نريد احدا يتحدث باسمنا". السلطة كلها متهمه هذه المرة، وصرخة المحتجين لم تميز بين طرف وآخر، بل صوبت على الحكومة بكل مكوناتها، ولعل هي المرة الأولى التي تبدو فيها المرجعية الدينية في النجف، في موقع شبه حيادي، علما أنه طالما كانت المرجعية في تعليقاتها التي تطلقها في مناسبات سابقة، تتسم بالانحياز إلى مطالب المحتجين المشروعة وتقف في وجه الحكومة. ففي الخطبة التي القاها أحمد الصافي، ممثل السيد علي السيستاني، الجمعة الماضي، غير متحيزا لأي طرف في العراق. فقد قال "نرفض جميع الاعتداءات التي وقعت على المتظاهرين السلميين في عدد من المدن العراقية، ولكننا في الوقت نفسه نرفض الاعتداء على القوات الأمنية". موقف المرجعية يعكس حجم القلق من الاحتجاجات الذي بات يهدد ببناء السلطة القائم، في ظل "قلق من أن تشكل الاحتجاجات أداة لتقويض ما هو قائم من دون أن تتضح بدائل واضحة لهذه السلطة التي تفر المرجعية بأنها فشلت في تلبية الحدود الدنيا من حقوق العراقيين"، كما يفسر أحد العاملين في مؤسسات المرجعية موقفها الأخير. الاحتجاجات اليتيمة، هو الوصف الذي يمكن أن ينطبق على ما جرى في العراق خلال أسبوع، والعنف الذي مورس ضد المحتجين كشف أن التواطؤ



علي أمين
كاتب لبناني

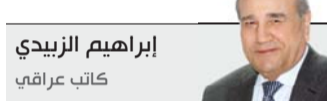
الاحتجاجات التي شهدتها العراق ولا يزال فاجت العراقيين أنفسهم في الحجم والمدى الذي اتخذته. لم تكن العاصمة بغداد مسرح الحدث كما جرت العادة في العديد من التحركات المطالبة والمدنية التي كانت بغداد مركزها، ولا تشبه أحداث البصرة التي جرت قبل عام إلا من حيث الدلالة الإيرانية، ففي البصرة أحرقت القنصلية الإيرانية، وفي الاحتجاجات الأخيرة أحرقت العلم الإيراني. ما جرى أخيرا كان مسرحه محافظات عراقية عدة، لكن اللافت أنها تركزت في المناطق ذات الغالبية الشيعية، التي يشار إليها باعتبارها مركز النفوذ الإيراني وقاعدة السلطة التي تحكم العراق فعليا منذ عام 2003. ما يجب التنويه به في مقاربة هذا الحدث غير المسوق في تاريخ ما بعد سقوط النظام السابق، وتعدد النفوذ الإيراني في العراق، أن الاحتجاجات هذه المرة تبدو في وجه السلطة بأكملها، إذ لم تبرز أي مواقف متبينة للحراك الشعبي أو تتبني المشاركة في الاحتجاجات، ورغم محاولة النفاق بعض القوى، ومنها التيار الصدري الذي حاول استئصال دور له في هذه الاحتجاجات، فقد قال أحد المتظاهرين في بغداد، وهو يعصب جبينه بعلم عراقي، "لا أحد يمتلنا، ياتون بأشخاص يلبسونهم

قبل أن يصبح العراق سوريا ثانية

ستكون بين إيران، التي لا تستطيع أن تتحمل كلفة الخروج مهزومة مطرودة من العراق، خصوصا في ظروفها الصعبة الحالية، ماليا وعسكريا وسياسيا، وبين شعب وصلت النار الحارقة إلى لقمه عيشه وعيش أطفاله ومرضاه وجياحه، فاصبح من غير السهل عليه أن يتوقف عن الثورة حتى تتحقق مطالبه المشروعة، مهما بلغت التضحيات، ومهما غلا الثمن.

تعد بتقديم الفاسدين إلى القضاء. وأما حزمة الإصلاحات التشريعية والمالية والإدارية التي وعد باختازها فلن تكون أكثر من هواء في شبك. ويهدأ يصبح العراق على مفترق طريقين: إما أن يستلهم عبدالمهدي وميليشيات الحشد الإيراني جنون بشار الأسد وعنايته في مواجهة المتظاهرين بكل أنواع الأساليب والمعدات والأسلحة، وصولا إلى البراميل المتفجرة، ثم يضطر في النهاية إلى الاستعانة بالحرس الثوري، فدعا عن الوجود الإيراني المهدد في مدن الطائفة الشيعية وقرائها، ليصبح العراق سوريا ثانية، خرابة تسكنها الصراصير والنوم والغريان.

وبالجهد، من بقايا القاعدة وعصابات أبي مصعب الزرقاوي وغيرها، ثم داعش أخيرا. فقد هيأ وجود هذه العصابات لإيران، ثم لروسيا بعد أن دعته إيران لعاقبتها على الظلم والعدوان، نزيعة لشن حرب إبادة ضد كل سوري معارض للديكتاتور، سواء كان وطنيا شريفا نزيها، أو غير وطني وغير نزيه ولا شريف.



إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

حين خطر لأحد التلاميذ اليافعين المتأثرين بموجة الربيع العربي، في فبراير عام 2011، أن يكتب على أحد جدران مدينة درعا عبارة "إجا دورك يا دكتور"، كان يمكن للسلطة لو كانت عاقلة وتحترم الحد الأدنى من حقوق شعبيها، أن تلتف القضية بهدوء، وتكتفي بجرعة من ذلك التلميذ، وأذان رفاقه الآخرين الصغار، وتمت العاصمة بسلا، ويستمر بشار الأسد وأخوته وأبناء عمومته في حكم سوريا بالمخابرات والعصابات والاعتقالات والسرية والاختلاس، وبدون ساركا طاحنة مع شعبه الذي ظل ساكنا ساكنا على الظلم والفساد عشرات السنين.

العراق.. محاكمة الثورة

وتحولوا إلى دولة من دون سيادة وشعب من دون حياة. لسان حال العراقيين الثائرين بسؤال سؤالا واحدا فقط. لأجل من ولأجل ماذا كل ما حل بنا؟ ماذا يجب أن ننتظر بعد أن وصل بنا الحال إلى هنا؟ ماذا نصبر على أولياء أمورنا المارقين، وكل الشعوب من حولنا تنور على أنظمتها التي أفستد أقل مما فعل حكام العراق الذين جاؤوا بعد صدام حسين.



بهاء العوام
صحافي سوري

منذ أن خرجت التظاهرات الشعبية الأخيرة في العراق تسابقت الألام والأصوات لتحليلها ومعرفة أسبابها. ومع كل رأي وقراءة يحاكم المتظاهرون ويصفون وفقا للمحرض أو المستهدف، ليسمي الحراك ثورة ضد إيران أو ضد الولايات المتحدة أو ضد الفساد أو الطائفية أو أي شيء آخر. تصنف ثورة كالتالي تحدث في العراق هو بحد ذاته محاولة لاحتوائها ووداها، ذلك لأن التصنيف يجعلها حكرًا على فئة دون الأخرى ويفرغها من عنوانها الوطني الذي يتجاوز وكلاء طهران وواشنطن في البلاد، ويفوق أيضا مشكلة واحدة مهما بلغ حجمها، مثل الفساد والطائفية. العراقيون ثاروا على عقود من الضياع عاشتها البلاد منذ تسعينات القرن الماضي، ثاروا على أنفسهم لأنهم جميعا ساهموا بما وصل إليه العراق. بعضهم ساهم بصمته ومجاراته للأطاع، والبعض الآخر ساعد بتبعية وعمالته، سواء كان إيران أو الولايات المتحدة أو لجهات داخلية متطرفة.

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبالي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

والمعروف حجم الدمار الذي حل بالمدن السورية، وأعداد الشهداء والجرحى والمعتقلين والمفقودين والمهجّرين الذين تتحمل إيران دون غيرها، كامل المسؤولية عن ذلك الخراب والدمار.

المواجهات لن تبقى بين جماهير غاضبة وبين حكومة وبرلمان، بل ستكون بين إيران التي لا تستطيع أن تتحمل كلفة الخروج مطرودة من العراق، وبين شعب وصلت النار إلى لقمه عيشه وعيش أطفاله ومرضاه وجياحه

تقودنا هذه المقدمة المحزنة إلى انتفاضة جماهيرنا العراقية الحالية التي بدأت سلمية لا تطلب أكثر من وظيفة للعاطل ودواء للمريض وأبسط الخدمات الأساسية الضرورية، ومحاسبة اللصوص الذين اختلسوا أموال الدولة، وتسببوا في عذاب الملايين وفقرهم وضياع مستقبل أجيالهم القادمة.

ويبدو واضحا أن الحكام العراقيين لا يملكون حولا صادقة ومخلصمة وجذرية فاعلة لترضية الجماهير. إنهم فقط يحاولون خداع الجماهير وتخديرها بوعود ليس لديهم القدرة ولا الصلاحية لتنفيذها. منها مثلا أن رئيس الوزراء

وارث العنف الدوي ولفسفة العقاب الجماعي من أبيه، لم يامر بمعاقبة التلاميذ، وحدهم، بل أمر وكيله في درعا بإهانة أبائهم إهانة جارحة لا يمكن أن تمر دون احتجاج، لتنتقل التظاهرات الشعبية الغاضبة المطالبة بمعاقبة المسؤول، ليس أكثر. وحين واجه النظام تظاهرة درعا بالرصاص الحي بكل قسوة وهمجية، كما تفعل اليوم حكومة عادل عبدالمهدي وميليشيات الحشد الشعبي، تفجرت التظاهرات الشعبية في أغلب المدن والقرى السورية، تضامنا مع درعا. ثم بعد أن أمنع النظام في القتل والحرق والإغتيال صدحت الجماهير بهتافها الشهير، "الشعب يريد إسقاط النظام"، ثم حملت السلاح لردع قطعان شبيحة النظام التي بدأت تهاجم الحارات وساحات الاعتصام ومنازل المواطنين بكل أنواع الأسلحة والعتاد. ثم شيئا فشيئا وسع النظام الإيراني حملات ميليشياته اللبنانية والعراقية للفتك بالمتظاهرين، ساعده على ذلك ابتلاء الثورة السورية بإرهابيين طائفيين سنة متبرقعين بالدين الإسلامي

من يريد تسمية الثورة في العراق هو من يريد إخمادها. فعندما تكتسي الثورة تصنيفا وتوجها فقد شعبيتها، وعندما تفقد شعبيتها تنتهي عوفيتها وتخرج من بين صفوفها مجموعة من الأشخاص، يتحولون إلى "قادة" للحراك وتفتقهم الطبقة السياسية، للتفاوض معهم حول مطالب الثورة. الحديث عن مطالب مشتركة لعشرات الآلاف من البشر يتظاهرون في الشوارع هو محض ادعاء وإفراء، المشترك الوحيد بين هؤلاء هو الوطن الضائع. ولا يعود وطن ضائع بعشرات الوحدات السكنية أو مجموعة من الوظائف، أو حفنة دولارات تسد رمق العاطلين عن العمل وتوفر لهم الخبز. لم يخرج العراقيون من أجل هذه المكرمات من ساسة البلاد وقادتها الفاسدين. لم يواجهوا الموت من أجل هبات أولئك الذين يبيعون ويشترتون بعائلاتهم الحداد من أجل أن يشيع أولادهم الآن، وتجويع أجيال وأجيال لعقود طويلة كما حدث بعد عام 2003. مل العراقيون الوعود وسئموا المبررات. أدركوا أن السياسيين وقبيلهم رجال الدين يستغلونهم أشنع استغلال. أيقنوا أنهم تنازلوا عن كل ما يستحق في حياتهم لأجل من لا يستحق. بسبب قادتهم تأخروا في التعليم والاقتصاد والحضارة،



لقد بعثت في العراقيين أرواحا "فراكتكتانية" عادت لتنتقم من هؤلاء الذين استنزفوا البشر والحجر في البلاد. هذه الأرواح لا تحتاج إلى أسماء ولا تُفسر بنظريات أو عبر محللين وخبراء. من يبحث عن تسمية أو تصنيف للثورة العراقية الآن، يستعجل موتها ويقيم لها محاكم تعسفية لا تفرق بين الإنتماء والتبعية.